

١٨



الحياة والعروة الوثقى

في حياة الرسول

الحياة الصالحة

يقدمها روحه بصفوة السجدة
تؤتيه الله في عبادة أشد من عبادة
أشهره أن حبه من عبادة

الحياة والعروة الوثقى في حياة الرسول



استيقظت مكة ذات صباح على خبر إسلام «رملة» بنت
أبي سفيان ، ولم يصدق الناس هذا الخبر وقالوا في دهشة :
- كيف تركت بنت أبي سفيان دين آبائها ، وأبوها واحداً
من زعماء العرب وساداتها ، وأعدى أعداء محمد ؟

وحاول أبو سفيان أن يقنئ ابنته عن الإسلام ويعيدها إلى
الوثنية بكل السبل ، لكن محاولاته باءت جميعها بالفشل ،
لقد أعلنت رملة تمسكها بإسلامها وقالت لأبيها في تصميم :
- ما كان لي أن أعود إلى الظلمات بعد أن هداني الله للإيمان .
واشتد بطش أبي سفيان بابنته ، فحبسها وأخذ يعذبها
عذاباً شديداً كي تعود إلى دينه ، لكنها تحمّلت العذاب في
شجاعة وصبر .

و ذات يوم أشارت علي زوجها «عبيد الله بن جحش»
بالتجربة إلى الحبشة فراراً من أذى أبيها وقريشها ، فوافق
عبيد الله ، وحمل زوجته وأمتعته وانجها إلى الحبشة
مهاجرين في سبيل الله .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَعَاشَ الزَّوْجَانِ فِي سَعَادَةٍ ، وَرَزَقَهُمَا اللَّهُ
بِطِفْلةٍ جَمِيلَةٍ أَسْمَاها «حَبِيبَةٌ» ، وَأَحَاطَهُمَا النُّحَاشِيُّ مُلْكُ
الْحَبِشَةِ ، كَمَا أَحَاطَ كُلُّ مُسْلِمٍ بِرِعَايَتِهِ وَعَطْفِهِ ، وَوَقَّرَ
لَهُمَا الْجُورَ الْمُنَاسِبَ لِلْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ .

وَلَمْ تَسْتَمِرَّ سَعَادَةُ الزَّوْجَةِ طَوِيلًا ، فَقَدْ لَاحَظَتْ تَعْيِيرًا



كبيراً في سلوك زوجها ، إذ أصبح فجأة لا يفيق من الخمر ،
وكلما راجعته زوجته ونصحته بالتخلي عنها زجرها وقال
في غضب :

- هذا شأني وحدي ، وإياك أن تحدثيني في هذا الأمر مرة ثانية .
وبانت رملة طوال ليلها تفر في أمر زوجها وما أصابه ،
وفجأة استسلمت للنوم ، ولكنها قامت بعد قليل مذعورة
وهي تستغفر ربها وتدعوهُ ، وحضر زوجها في وقت متأخر ،
فلاحظ الدغر والقلق على وجهها فسألها في دهشة :

- ما بك يا رملة ؟ وما هذا الخوف الذي يرتيم على
وجهك ؟

فقالت رملة :

- لقد رأيت الليلة رؤيا ما أبشعها !

فقال عبده الله :

- أمن أجل أضغاث أحلام تصعبن بنفسك كل هذا ؟

ثم أضاف في غير مبالاة :

وما هذه الرؤيا التي أقرعتك إلى هذه الدرجة يا رملة ؟
وهل تخصك أم تخصني ؟

فقالت رملة :

هل تخصك يا عبيد الله ، فقد رأيتك في أسوأ صورة
وأشوم خلقة !

فضح عبيد الله بالضحك واثكأ على سريره وقال في
سُخْرِيه :



- ليس هناك أسوأ مما صرنا إليه !
وتعجبت رملة لما سمعت فقالت لزوجها :
- ماذا تقصد بقولك يا أبا حبيبة ؟

فقال في حدة :

- لقد جلب علينا دين محمد الشر ، ومنذ أتبعناه ونحن
نعيش في ضيق ومعاناة .

فقالت رملة :

- بل كنا في ضيق وشر قبل أن نتبعه ، فلما آمننا به شرح
الله صدورنا ، وأنار قلوبنا وأبصارنا .

ثم سألت في قلق وريبة :

- ماذا تخفي علي يا عبيد الله ؟

فأجابها :

- لقد تركت دين محمد ، وآمنت بدين أهل الحيشة ،
فقد كنت أدين به قبل أن أدخل في الإسلام .

ثم قال مهبطاً :

- وأرى أن تفعلني مثل ما فعلتُ ، وإلا فارقنك ، فإن ذلك

خير لنا



فَقَالَتْ رَمْلَةٌ :

- افعل ما شئت ، فما أنا بالتي تترك الإسلام وتعود
للشرك أبداً ، والله ما هذا خير لك ، بل هو شرٌ وخسرانٌ .

وَأَفَاقَتْ رَمْلَةٌ عَلَى هَذَا الْكَاهِنِ الْمَزْعُوجِ ، إِذْ رَأَتْ زَوْجَهَا
وَأَنْبَسَ وَحَدَّثَهَا بِتَرْكِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَبِحَصْرٍ تَحْتَ تَأْثِيرِ
الْخَمْرِ وَغَوَايَةِ الشَّيْطَانِ .. وَرَأَتْ رَمْلَةٌ تَفَكَّرُ طَوِيلًا فِي
مَصِيرِهَا .. هَلْ تَعُودُ إِلَى مَكَّةَ فَيُعَذِّبُهَا أَبُوهَا وَيَسْتَمُتُ بِهَا
قَوْمُهَا ؟ أَوْ تَبْقَى فِي بِلَادِ الْحَيْثَةِ وَتَعِيشَ فِي قَسْوَةِ الْغُرْبَةِ
وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ ؟ أَمَا أَنْ تَحْصِرَ كَمَا تَحْصِرُ
زَوْجَهَا لِكَيْ تَعِيشَ مَعَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَا لَمْ تَفَكَّرْ فِيهِ عَلَى
الْإِطْلَاقِ ، لَقَدْ كَانَ إِيمَانُهَا أَلْبَسَ مِنَ الْجِبَالِ !

وَأَغْلَقَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ دَارَهَا عَلَى نَفْسِهَا ، وَانْظُرَتْ مَا سَرَفَ
تُسْفِرُ عَنْهُ الْأَيَّامُ ، وَتُظْهِرُهُ الْأَقْدَارُ . وَذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَبَيْنَمَا هِيَ
غَارِقَةٌ فِي الْحُزْنِ إِذْ سَمِعَتْ مَنْ يَقُولُ لَهَا فِي الْمَنَامِ :

- لَا تَحْزَنِي يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ !

وَاسْتَبْفِظَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأَخَذَتْ تَرُدُّ :

أَمْ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلٌ مَأْصُوحٌ أَمْ لِلْمُؤْمِنِينَ حَقٌّ ؟

ولم تمرّ بسرى أيام قليلة على هذه الرؤيا ، حتى سمعت
أم حبيبة دقاً على الباب ، فأسرعت لتفتح ، فإذا بها بجارية
النجاشي وهي تقول لها :
- أبشري يا أم حبيبة .



فقالت أم حبيبة :

- بشرك الله بكل خير .

فقالت الجارية :

- إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ أرسل إليه

ليزوجك له ، ويطلب منك أن تركلي من يزوجك !

ولم تصدق أم حبيبة أذنيها ، فأعطت الجارية سوارين من

فضة وخواتم كانت في أصابعها وقالت لها وهي لا تقدر

على مغالبة دموعها :

- بشرك الله بالخير ، وهدى قلبك للإيمان .

فقالت الجارية :

- لقد هداني الله للإسلام واتبع الرسول ﷺ ،

وأستحلفك بالله إذا أنيت رسول الله فأقرئيه مني السلام .

فقالت أم حبيبة :

- أفعل إن شاء الله .

وأرسلت أم حبيبة إلى ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص

وجعلته ركبلاً عنها في رواجها من النبي ﷺ ، وفي السماء
اجتمع المسلمون في قصر النجاشي فقال لهم :

— الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزیز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده
ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ﷺ .



أما بعدُ : فإن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد صدقتها أربعمائة دينار .

فأجابهُ خالد بن سعيد بن العاصي وكيلُ الزوجة قائلاً :
- الحمد لله ، أحمدُهُ وأستعينهُ وأستنصرهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعدُ : فقد أجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله ﷺ وأتتهج المسلمون في الحبشة بهذا الزواج العظيم ، فقد جاء تنويجاً لصبر أم حبيبة وصدقها وتمسكها بدين الله ، كما جاء ليخرجها مما كانت تعانيه بعد فراق زوجها لها وارثاده عن الإسلام ، فقد أصبحت زوجة لمسيّد ولد آدم ، وأما لكل المؤمنين .

وأعدُ النجاشي وليمّة عظيمة ابتهاجاً بهذه المناسبة ،



ودعا إليها المسلمين وقال لهم :

« اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يطعموا طعاماً .

فجلس الصحابة وأكلوا ، وهنا بعضهم بعضاً بهذا الزواج

المبارك ، الذي ضرب به الرسول ﷺ المثل في السمر

والعظمة والتعاطف مع المسلمين .



ولما أخذت أم حبيبة الصّدّاق ، دعت جارِبةَ المَلِكِ ،
وأعطتها خمسين دينارًا وقالت لها :

— إنى كنت أعطيّك سوارين من فضةٍ حين بشرتني بهذه
البُشرى العظيمة ، ولم يكن عندي سواهما ، فهذه
خمسون دينارًا فخذيها واستعيني بها .
لكنّ الجارية أبت أن تأخذَ منها شيئًا وقالت لها :

— بارك اللهُ لكِ فى مالِكِ يا سيّدى ، لقد أمرنى المَلِكُ ألا
أخذَ منك شيئًا ، فقد كافأنى بنفسه .

وأضافت الجارية :

— وقد بعثت إليك أزواجهُ بهذه العطور وهذه الأعوادِ
الطّيبة لتُقدمي بها على رسول الله ﷺ .

وشكرت أم حبيبةَ الجارية ، وقيلتَ منها الهدايا التى
أرسلها أزواجُ المَلِكِ ثم سألتها :

— هل لك حاجةٌ أفضيها لك ؟

فقالت الجارية :

حاجتي إليك أن تُقرني على رسول الله ﷺ مني السلام ،
وتعلميه أنني قد أتيت دينه !

واستعدت أم حبيبة للرحيل إلى المدينة المنورة ولقاء
الْحَبِيبِ ﷺ في السنة السابعة للهجرة ، وخفق قلبها
بالْحُبِّ والإيمان وهي تركب راحلتها ، وفاضت عينها وهي
تُضي في طريقها إلى رسول الله ﷺ .



وزف أهل مكة الخمر إلى أبي سفيان ، وانتظروا أن يقع
من هول المفاجأة ، إذا علم أن أخته تزوجت من محمد ﷺ ،
لكنهم فوجئوا به يكاد يطير من الفرحة ولا يصدق أذنيه
وقال في فخره :

— هو أشرف العرب على الإطلاق ، وحق لمن بصاهرة
محمد أن يفخر ويتب عليه على الناس جميعا .

ولم يجد العرب ما يقولونه تعليقا على كلام أبي سفيان
سوى قولهم :

— حقا ، الحق ما شهدت به الأعداء !

(تمت)

الكتاب القادم

أم حبيبة رمة بنت أبي سفيان (٢) مكانتها بين نساء النبي

ترجمه الامام : ٢٠٢٢٢٠

الرقم الدولي : ٦٠ - ٦٩٠ - ٢٢٦ - ٩٧٧